كيف كسبت الرهان !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المـازني

(تنبيه — الحادثة ليست شخصية — وليس لى أخت)

غام الزجاج أمامى من كثرة ما سقط عليه من ندى الفجر ، وكنت — كلما قطعنا بضعة فراسخ — أمسحه بمنديل ثم أجلوه بورقة ، وكان ذلك يحوجنى الى الوقوف ثم استئناف السير ، وهذا مضيعة للوقت ، والشقة بعيدة ، والرهان جسيم ؛ فقلت أرفع الزجاج ، فان التعرض للهواء البارد أيسر عملا ، وأهون من النظر من زجاج عليه ضبابة ، وإن كانت رقيقة ؛ وصحيح أن أختى كانت تصف لى الطريق وتسمى لى ما يعترضنا عليه ، وتعين لى مواقع الأشياء ، ولـكن السائق لا يستطيع أن يعتمد على غير عينيه ؛ ثم إن وصفها كثيراً ما كان يحيرنى ويحدث لى اضطراباً ، فقد كانت تقول مثلا : « هذا رجل فى وسط الطريق .. لا لا لا .. إنه أقرب إلى اليسار ... انتظر ... بل هو يمشى يميناً ... امض على بركة الله ... لا خوف »

فأتنهد ، وأمضى على بركة الله ، فما ثم شىء آخر أمضى عليه ؛ وبودى لو تبين لى كيف أستطيع أن أتريث وأنتظر حتى تتثبت هى وتقطع الشك باليقين ! ثم إنى لم أكن مأمن بأن نظرها أصح وأسلم وأقوى ، وأنه يسعها ما أعيانى من اختراق هذا الضباب — أعنى النظر من خلال الزجاج المتغيم . لذلك توكلت على الله ورفعت الزجاج

وقال زوجها : « لا بأس ! ولم لا ؟ إنه لن يصيبنا شر من الالتهاب الرئوى

فرمت اليه زوجته شيئاً وقالت : « تلفع بهذا »

فرده اليها وهو يقول : « الـكلب لا يعض أذن أخيه ... صدق والله ! »

فثاروا به وشغبوا عليه ، ولما قرت الضجة قلت :

« غط صدرك إذا كنت تخشى الهواء ، وفك أيضاً — فانى نويت أن أعوض ما خسرت إلى الآن »

وضغطت بقدمى فانطلقت السيارة كالسهم ، وانحنت أختى تنظر إلى العداد ، وجعلت تعلن الى الرقم كلما تغير ، وتصيح : « ٤٠ ..... ٤٣ .... ٤٧ .... ٥٠ .... أوه ! لقد وصل إلى الستين ..... ! السبعين .... »

ثم أمسكت ، فقد كان الهواء قوياً ، ودفعه فى الصدر شديدا ، فلولا أن النظارة على عينى لما وسعنى الصبر عليه ؛ وكان الطريق مستقيما ، والتراب راقداً لـكثرة ما نزل عليه من الطل ؛ وبدت لعينى مركبة فسألت نفسى : ترى على أى ناحية من الطريق هى ؟ ولـكنى جزتها ومرقت كالسهم فى نفس اللحظة التى رأيتها فيها ، فلا جواب لسؤالى ؛ وأحسست أن سيارة مقبلة علينا ، ثم تبينت أنها ماضية فى اتجاهنا فما عتمت أن صارت وراءنا ، وأحسب أن سائقها قد أوسعنى شتما ولعناً ، فما نبهته ولا حذرته ؛ وظهرت ضيعة ، ورأيت بيوتها الواطئة المبنية من الطين ، وأخذت عينى الأشجار المغروسة أمامها — أو خلفها ، لا أدرى — فقد غابت عن عينى بأسرع مما بدت لها ؛ وكنت لا أجرؤ أن أصوب لحظى إلى عداد السرعة ، ولـكنى كنت أحس كل كيلو نقطعه ونضيفه إلى ما فرغنا منه ؛ وزاد ضغط قدمى ، فتجهمت أختى ونظرت ثم قالت :

« ٨٩ ... ٩٠ ... ٩١ ... ٩٢ ... »

ثم رأتنى كالمسمر فى مكانى ، وكأنما أدركها العطف على ، أو قواها اصرارى على الفوز ، فعادت تنظر وتبلغنى ما ترى .

« إلى اليمين شىء ... عربة ... خال ... عربة ... تتحرك ... دراجة إلى يسارك ... سيارة مقبلة ... خال ... لا ... رجل يمشى ... خال ... »

فسألتها : « كم كيلو قطعنا ؟ وكم الساعة الآن ؟ »

وكانت الساعة الرابعة صباحا ، ولا يزال أمامنا مائة وعشرة كيلومترات إلى دمنهور ، ونحو ثلاثين أخرى إلى القرية ، وثلاث ساعات نقطعها فيها

فجعلت أدافع اليأس ؛ ذلك أن الطريق إلى (بنها) واسع ، ولـكنه بعد ذلك يضيق ، إلى قريب من طنطا ، ويزدحم بالجمال والأبقار والأغنام والدواب والسيارات ، فسألت القوم : « هل ورد ذكر لدمنهور فى الرهان ؟ »

فقالت أختى : « أظن ... لا لا ... لم يرد لها ذكر »

وقال زوجها : « أو ورد ... ... سيان ... ... »

فقاطعته ابنة عمه ، وكانت معه على المقعد الخلفي وقالت :

لا ، على التحقيق... كل ما اشترطه هو الوصول إلى القرية الساعة السابعة صباحاً ، والأسبق هو الفائز ... ... ولكن لماذا تسأل ؟ »

قلت : لأن هناك طريقاً أخصر ... ... من طنطا إلى دسوق مباشرة »

قالت : « وما الفرق ؟ »

قلت : « ثلاثون كيلو ... مسافة لا يستهان بها ... والطريق أضيق ولكنه معبد »

قالت : « وهل تظن أنه يجهل هذا الطريق ؟ »

فهبط قلبي من صدري إلى حذائي ، ولي العذر ، فان قريبنا هذا ـ ومراهننا ، وصاحب الضيعة وداعينا إليها ـ أبرع مني وأعرف بالسكك المؤدية إلى قريته ، ولا شك أنه أهمل النص على دمنهور في الرهان عمدا ، لظنه أني لا أعرف غير سكة دمنهور ، ثم لا أشك أنه تلكأ وراءنا ليغافلنا في طنطا ، ويميل هو إلى الطريق الأخصر ... ...

وزاد الطين بلة أني أحسست ونحن ندخل بنها كأن قدمي قد شكت بمسمار محمي ، فصرخت ، ورفعت رجلي ، واضطررت أن أميل بالسيارة الى الرصيف

وخلعت الحذاء وجعلت أنظر ، وأتحسس قدمي وأفركها ، فقالت أختي :

« ماذا جرى ؟ »

وقال أخوها : « هل أدلكها لك ؟ كلا ، لا بأس ! إذن لم يبق إلا العلاج بالايحاء . اسمع ! متى قلت : « واحد » فان عليك أن تفرغ رأسك من كل شيء ـ وهذا سهل جداً ولن يكلفك عناء ـ ومتى قلتُ : « اثنين » فاعتقد أن الألم الذي لا تحسه ، ليس إلا وهماً . . . ومتى . . . »

فصحنا به تسكته ، ولما انقطع اللغط قلت :

« طول الضغط فعل هذا ... على كل حال لا أظنني أستطيع أن أسوق السيارة ، فعليك أن تتفضل وتجلس في مكاني ، وأمرنا إلى الله ، وأرواحنا في وديعته ، وعوضنا الله خيراً ، فقد ذهب الرهان والأمل في كسبه »

فصاحت أختي : « ولكنه لا يحسن القيادة . . . »

قلت : « وما الحيلة ؟ سأجلس الى جانبه ـ وأرشده »

فقالت : بنت عمه : ولكنه سيقصر عمرنا . . . »

فقلت : « وماذا نصنع غير ذلك ؟ »

وقالت زوجته : « ولكني أخاف . . . أعني . . . إنه . . . »

فقلت : « اطمئني . . . لا خوف عليه . . . ولا علينا ، إذا كان هذا يعنيك »

فالتفت الينا وقال :

« ان الذي فهمته هو أن هناك اقتراحاً منكم بأن تتمتعوا بقيادتي لهذه السيارة . . . حسن جداً . . . فلتبلغ الصحف ، وليدع الشعراء »

فقلت : « إن المسألة لا تحتمل هذا المزح . . . »

وقالت أختي : لا تحتمله أبداً . . . عدني ألا تسرع . . . سر ببطء . . . على مهل . . . ولنصل بعد أسبوع . . . ماذا يهم ؟ واحذر أن تسابق شيئاً . . . »

فقال : « لا تخافي يانور عيني . . . إذا صادفت في طريق سيارة فاني أعدك أن أعطل المحرك ، وأذهب فأختبيء تحت شجرة »

ودخلت بينهما وقلت : « إن وعداً كهذا لا سبيل اليه ، فان علينا أن نصل إلى القرية في وقت معقول ، إذا لم يكن علينا أن نكسب الرهان ، ثم إني سأكون إلى جانبه وسأرشده ، وسيكون هو السائق اسما ، فقط ، فلا خوف . »

فالتفت الينا ، بعد أن قعد في مكاني وقال : ولكني أشترط أن يكون الارشاد بلغة مفهومة ، أما أن تصيح بي « الهوا » أو « اكسر » . . . فلا يا صاحبي . . . قل كلاماً مفهوماً أطمئك ! ولا تقلد ذلك الذي علمني ، وصاح فجأة : « حش . . . حش » فوثبت عن المقعد ، ولم أدر ماذا أحوش ، ووثب الرجل الذي دعاني معلمي أن أحوش السيارة عنه . . . وعلى ذكر ذلك أقول إني لم أر في حياتي أحداً يثب كما وثب ذاك الرجل يومئذ ! »

فصاحت زوجته ، وهي تنزل من السيارة : « إني لم أكن أعرف هذا الخبر ، ويستحيل أن أدعك تسوق السيارة »

وقعدت على الرصيف

وجعلت أنظر منها اليه ، ومنه إلى بنت عمه ، في صمت ؛ ومضت دقائق كأنها الدهر طولاً ، مشيت بعدها إلى مقعد القيادة وقلت :

« انزل من فضلك . . . فانك مطرود » فنزل وهو يقول :

« ولـكن رجلك . . . ثم إن هذا . . . »

قلت : « لا بأس ، سأجرب على الأقل »

فدنت منا بنت عمه ووضعت كفيها على كتفينا وقالت لى

« ألا تدعني أسوق ؟ . . . ربما . . . استطعت . . . »

قلت : « حباً وكرامة ، ولـكن كيف يمكن ؟ إنك . . . »

قالت : « لست جاهلة جداً . . . وسأحتاج إلى إرشادك . . . والطريق خال »

فقال : « نعم خال . . . جداً ، إلا من البقر والجمال . . . »

* * *

وركبنا جميعاً ، وقلت لها : « الآن ضعى ناقل السرعة فى . . . براقو . . . انقليه برفق . . . براقو جـداً . . . أظن أنه يحسن التأنى حتى تبعد عنا هذه السيارة »

فقالت : وهى تحول ناقل السرعة إلى المكان الثالث : « كلا أظن أن الأوفق أن نمر به »

ومرقت كالسهم بجانبـه ، فالتفت اليها متعجباً ، فما كنا نعرف أن لها دراية بالسيارات أو خبرة بقيادتها ، ونظرت إلى العـداد فاذا هو يشير إلى الخمسين . . . فالستين ، فرفعت عيني اليها ، فألفيت على ثغرها ابتسامة فاتنـة ، وقالت وهى تخطف بالسيارة :

« أظن أن الأمل فى الرهان لم يذهب . . . على كل حال « عبده » لا يزال وراءنا »

فقالت أختى : « وراءنا ؟ من قال هذا ؟ لقد مرق وأنتم واقفون . . . رأيته بعيني »

فعدنا إلى اليأس بعد أن كاد ينتعش الأمل ، ولـكن الفتاة قالت :

« هذا أحسن . . . خيراً صنع . . . وأنا الآن مطمئنة »

قلت : « ولـكن كيف ؟ أليس قد سبقنا ؟ »

قالت : « سترى . . . معنا الله »

* * *

وشارفنا طنطا ، ولمحنا سيارة « عبده » ، فتباطأت ، وأبت أن تسبقه كما أشرت عليها ؛ فلما صرنا فى قلب المدينة ، اغتنمت فرصة الزحام ، وتركته يمضي فى طريق ، وضربت هى فى طريق غيره ، وأطلقت للسيارة العنان

وقالت بعد أن خرجت إلى السكة الزراعية : « إنه يعتقد الآن أننا وراءه ، واعتقاده هذا ربح لنا ، وبقى أن يغلط ويأخذ طريق دمنهور »

فسألتها : « ولـكن من أدراك أنه لم يسبقنا ؟ »

قالت : « كلا . . . إن طريق أخصر جداً . . . كن واثقاً »

ومضينا على سكة دسوق ، وكنا لا ننفك نلتفت وراءنا لعلنا نرى سيارة « عبده » ، فلما طال ذلك علينا أيقنا أنه أخذ طريق دمنهور ، فقد كان فى وسعه أن يدركنا بسهولة

وسكة دسوق ضيقة كما أسلفت ، وكانت إلى هذا كثيرة الزحاليق ، وكانت السيارة لهذا تتلوى على المواضع البليلة ، كالحية ، ولـكن سائقتنا كانت حاذقة ، فكان روعنا جميعاً ، ووسعنا أن نضحك ونمزح

وقلت لها — همساً — : « إنى أحس غيرة . . . هنا »

وأشرت لها إلى موضع القلب فابتسمت وقالت : « لماذا ؟

قلت : « لأن على جبينك خصلة صغيرة جميلة يداعبها النسيم — أعني يقبلها — علناً وعلى مرأى منا جميعاً — وهذا . . . هذا . . . يخجل . . . فعسى ألا يُعديني بالجرأة »

فتكلفت الجد وقالت : « إذا فعلت ، فسأمضي إلى هذه الترعة . . . مباشرة »

فهمست : « هش . . . لا تمزحى . . . إنها مسائل لا تحتمل المزح . . . ومن يدرى ؟ ؟ فقد تصيبك العدوى . . . ثم إنك لن تحسني التعبيس ما دام لك هذا المحيا الواضح الذى يضيئه الجمال ، ويضحك فيه أيضاً »

فلوت مُوَجِّه السيارة بلا كلام فصاح ابن عمها :

« إلى أين بنا يا هذه ؟ »

قالت بابتسام : « الى الترعة . . . إذا لم يسكت »

قال : « إذا كنت تريدين أن تستحمى فان فى البيت الذى نرجو أن نبلغه سالمين حماماً بديعاً ، ولـكن بغير ماء ! على كل حال ، أظن أن جارك مستعد أن يملأ لك الجرار ، ويصبها عليك أيضاً »

قالت : « إذا وعد بأن يكون حسن السلوك . . . »

واستأنفنا السير بسرعة ، وبطول بنا الحديث إذا أردت أن

أسرد ما عانيناه من الغم والبقر والجمال والسيارات ؛ ولكن حادثاً واحداً وقع لنا لا أرى بداً من ذكره ، ذلك أنا وقعنا في وحل عظيم ، ولم يكن لنا مفر ، ولا كان لنا مهرب ، فقد كنا مقبلين بسرعة فاذا أمامنا — وإلى مسافة طويلة — ماء وطين ووحل شديد فارتطمنا فيه قبل أن ندرك ما حدث ، وصارت العجلات تزلق دائرة ولا تتقدم . فأوقفت المحرك وقالت :

« هل مع أحد منكم سيجارة ؟ »

وأشعلتها ، ونفخت دخانها ثم قالت :

« هذا أوان الحاجة إلى الرجال . . . فاخرجا ، وابحثا عن قش تلقيانه تحت العجلات ، أو اجرفا الطين أمامها وشقا لها طريقاً »

فقال ابن عمها : « هذا بديع . . . لقد تركت أظافري تطول لمثل هذا اليوم . . . قم بنا يا أخي »

ولكنا فعلنا غير ذلك ، ودعونا أحد الفلاحين إلى معونتنا ، فزعق فاجتمع حولنا نفر من الرجال والنساء ، أعملوا أيديهم في الطين حتى رفعوه من طريقنا ، فشكرنا لهم مروءتهم ومددنا لهم أيدينا بنقود ، فأبوها كل الاباء ؛ وقال الذي جمعهم : « عيب يا افندي » فألححنا ، فأصر على الاباء ، وعلى أن هذا عيب ، فكررنا له الشكر ، وصافحناه ثم نظرنا في أيدينا فاذا كلها طين ! فاستحيينا أن نقول شيئاً على مسمع منه

* * *

بلغنا البيت قبل صاحبه وقبل الموعد المضروب بنحو ربع ساعة ، وكان الفضل لهذه السائقة البارعة التي كنا نجهل أن هذه من مزاياها ؛ ولما أقبل مضيفنا بعد دقائق قال له نسيبي :

« ليكن هذا درساً لك . . . هات الرهان »

قال : « ولكن من أين جئتم ؟ » ثم كأنما تذكر فرفع يده إلى جبينه وصاح : « ما أغباني ! » فقال نسيبي : « تمام . . . اعرف نفسك . . . هكذا قال الحكماء . . . وهذا هو ربحك اليوم . . . وأولى أن تسأل كيف جئنا . . . حدثه يا هذا ، فان بي كسلاً بعد الذي تجشمته من متاعب القيادة »

فصحنا به منكرين هذا الكذب . . .

ابراهيم عبد القادر المازني

٥٠٤٧

حول السنيين والشيعة

للأستاذ محمد بهجة البيطار

قرأت ما كتبه العلامة الأستاذ أحمد أمين في الرسالة الغراء (عدد ١٢١) تحت عنوان (السنيون والشيعة) فرأيته يدعو إلى نبذ كلام الطاعنين من الفريقين ، وإلى عقد مؤتمر للوحدة الاسلامية ، يمهد له بالتماس وسائل الوفاق من الآن ؛ ولعمري أن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم ، وهم المرجوون لوراثة تلك الوحدة الدينية ، وتجديد ذلك المجد الدارس علماً وديناً وأخلاقاً ؛ وإن أضر شيء علينا هو هذه العصبية الموروثة ، والعداوة الممقوتة ، والتفرق الديني الذميم ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء »

أيها الشيعة الكرام : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أنتم تحبونها منا وهي تسرنا منكم ، وهي أن نأخذ بأدب سيدنا علي وهديه ، ونقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، وان لم نتجاوزوا قوله ولا فعله ، فأهل السنة معكم ، وأنتم منهم وهم منكم ، وهاهي ذي أقواله وأعماله تعرض عليكم : لقد بايع الامام على للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين طبقاً لما أخبر جده الصادق الأمين عليه وآله الطاهرين وصحبه الطيبين أفضل الصلاة والتسليم :

في نهج البلاغة أن علياً عليه السلام سئل عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال من الكفر فروا ؛ قيل : أفمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ؛ قيل فما هم ؟ قال قوم بغوا علينا فقاتلونا وقاتلناهم . وفي نهج البلاغة أيضاً أنه عليه السلام قال وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين : « إني لأكره أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر »

أقول ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقصون ما جرى بين